مشكلاته الداخلية او عن علاقاته الدولية، والقوى التقدمية مفروض عليها ان تدخل في المعركة، سلبا او ايجابا.

واذا وقفت قوة تعتبر تقدمية سلبا من قضية فلسطين، فلا تستطيع، حينئذ، المحافظة مهما توفر لها من دعم، على شعبيتها وعلى اي صفة تقدمية. والمثال البارز على ذلك هو النظام المصري، فقد كان عملاقا في ايام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكان لا يجرؤ احد على التفوه بكلمة نقد عنه، حتى ولو كان محقا. وورث الرئيس السابق انور السادات النظام ورصيده المعنوي الكبير، فتوهم ان باستطاعته بيع هذا الرصيد وتسخير النظام في خدمة الاهداف التوسعية الامبريالية والاسرائيلية، لكن سقط الرصيد فورا، ونهائيا، ولم ينفع السادات استغلال ورقة الدين بطرح نفسه «مؤمناً»، ولا دعم جميع اجهزة الاعلام الغربية و تلقي المعونات المالية (قد يكون السادات على الصعيد الشخصي أثري، ولكنه افلس على الصعيد السياسي)؛ رابعا، ان قضية فلسطين هي جزء، لا يتجزأ، من قضية الصراع مع الامبريالية، ولا يمكن ان يتصور المرء قوة تقدمية، تحافظ على تقدميتها، اذا ما تصالحت او تواطأت مع الامبريالية.

اذن، لا يمكن للقوى التقدمية الا ان تعتبر قضية فلسطين اساسية من جهة، وان تقف منها موقفا ايجابيا من جهة اخرى.

لكن لن نتعرض لموقف كل فصيل تقدمي على حدة، ولن نتناول، بالتحليل، هذا الاجتهاد في الموقف او ذاك، لسببين: الاول هو انه قد يكون مثل هذا التحليل مفيدا على الصعيد النظري، ولكنه مؤذ على الصعيد العملي، اذ يمكن ان تلتبس القيمة العلمية للتحليل بالمضاعفات السياسية التي يمكن ان تنجم عنه، والتي يمكن ان تترافق بردود فعل سلبية؛ والثاني هو ان المشكلة في موقف الفصيل التقدمي، او في اجتهاده، ليست مشكلة ايديولوجية بحتة، حتى يكون من السهل مناقشتها نظريا، وانما هي نابعة من عوامل متشابكة وعديدة تتعلق بالاوضاع الداخلية في كل بلد، وبالمسائل المطروحة، في هذا المجال او ذاك، وبالتحالفات وتأثيرها في منحى ما، او في آخر، الخ.

ربما المفيد هنا، ان يبني المرء بعضا من التصور العلمي للموقف التقدمي من القضية الفلسطينية بأبعاده الدولية والعربية والفلسطينية الصرفة، ولكن هذا موضوع كبير جدا، لا تكفيه المجلدات، ولذا لا بد من الاكتفاء برؤوس الاقلام، من جهة، ومن اختصار المناقشات النظرية الى اقصى درجة، من جهة اخرى. طبعا، من الممكن تناول جوانب جزئية، والاقتصار عليها، وبذلك يتم تناول الموضوع على مراحل، غير ان مثل ذلك لا يعطي الصورة الاجمالية التي ليست، بحد ذاتها، ضرورية فحسب، وانما تساعد، ايضا، ولا غنى عنها، في تحليل الامور الجزئية. ان الكثير من التفصيلات يتغير الرأي بشأنها تبعا للصورة الاجمالية التي يبنيها المرء لنفسه، او يتبناها.

العلاقات بين التقدميين

١ ـ حتى يكون ثمة موقف تقدمي من القضية الفلسطينية، يجب ان يتوفر، قبل كل شيء، تحالف تقدمي. عمليا، هناك مواقف تقدمية من القضية، لا موقف تقدمي واحد، وهذا يعني، ان كل طرف تقدمي هو وحيد تقريبا في ساحة العمل الفلسطيني، له اجتهاداته، وله طريقته في التحرك، وقد يختلف في ذلك مع الاطراف الاخرى الى حد التناقض قليلا، او كثيرا.

هذا الامر، بغض النظر عن صحة هذا الاجتهاد او غيره، وجدوى هذه الطريقة، او عدمها،